(أمة الإسلام أمة متجددة)

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه... لاإله غيره ولامعبود سواه...نَحْمَدُه سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونَسْتغفرُه ، ونَعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنْفُسِنا ومِن سَيِّئاتِ أعْمَالِنا مَنْ يَهدِه اللهُ فلا مُضِلّ لَه ومَنْ يُضلِل فلا هَادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُ الله ورسوله القائل : (بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ...فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قَالَ : (الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فعن أمير المؤمنين أبي حفص عمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ...سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) .

عباد الله : فالهجرة أصل أصيل للأنبياء ولم لا ؟ فهذا وَرَقَةُ بن نوفل كما استمعتم من قبل يقول لرسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ...فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟) قَالَ : نَعَمْ...لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، فبعد أن ظل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ثلاث عشرة سنة فى إيذاء ومعاناة أمره ربه بالهجرة ليشع النور فى كل مكان...وإلا فكيف لنور الإسلام أن يشع في أرجاء الدنيا لو بقي حبيسًا في مهده...فخرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تاركاً أرضاً عاش في ربوعها وداراً تنقل بين جوانبها وله ذكريات فيها...فكانت هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهجرة أصحابه لله وحده لاشريك له...فلم تكن لمال ولا لتراب...بل كانت لنشر عقيدة التوحيد وهي : (لا إله إلا الله * محمد رسول الله) .

• ولقد هاجر العلماء إقتداء بالسابقين نصرة لهذا الدين فتركوا كل شيء من أجله لأنه أشرف قول بشهادة رب العالمين قال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟) فالله يريد من عباده الهجرة لنشر الدين...أما الذين آثروا الحياة الدنيا فقد هددهم الله فقال تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) .

• عباد الله : قد يثاب إنسان بأجر الهجرة مع أنه لم يهاجر بسبب عدم استطاعته ، وقد يثاب إنسان بأجر الهجرة وفى استطاعته الهجرة مع أنه لم يهاجر بسبب إعالته لوالديه ، وفى المقابل قد يحرم إنسان من أجر الهجرة وهو مهاجر لتخليه عن أخلاقه ، أو لرؤيته المنكر بعينيه ولا ينهى عنه ، فخيرية هذه الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...) أين هؤلاء من تلك النملة الصغيرة التى كانت في الوادي حين رأت جيش سليمان عليه السلام قد اقترب من قومها فصاحت محذرة من هذا الخطر ؟ قال تعالى :

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ)

• نعم لقد نجى الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مؤامرة كبرى رتبت لها قريش مع جميع القبائل منذ شهور...يصورها القرآن الكريم بقوله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) حيث أخرجه من بينهم سالما وهو يتلو قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) .

فماذا فعلت قريش ؟ لقد انطلقت فى كل مكان تبحث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولما يئست من أن تقبض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلنت عن جائزة كبرى وهي : مئة رأس من الإبل لمن يأتيها بمحمدٍ حياً أو ميتاً...فلما سمع سراقة بن مالك بالنوق المئة سال لعابه ومضى يطوي الأرض طياً...لكنه ما لبث أن عثرت به فرسه وسقط عنها فتشاءم وقال : ماهذا ؟ تباً لكِ من فرس...وعلا ظهرَها ثانية غير أنه لم يمض بعيداً حتى عثرت به مرةً أخرى فازداد تشاؤماً وهمَّ بالرجوع لكنه أبصر محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه فى مرمى قوسه فمدَّ يده إلى قوسه ليقتلهما حتى يفوز بالجائزة ولكن يده تجمدت في مكانها...ثم إنه رأى قوائم فرسه تسيخ في الأرض شيء غريب...فدفع الفرس فإذا هي قد ساختْ ثانية في الأرض كأنما سمرت بمسامير من حديد فأدْرَك سراقة بفطرته أنهما ممنوعان منه...ثم قال ياهذان!! أدعوا لي ربكما أن يطلق قوائم فرسي ولكما عليّ أن أكفّ عنكما ، ثم دعا له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانطلقت فرسه فلماهمَّ بالعودة ناداهم قائلاً : تريثا فوالله لايأتيكما مني شيء تكرهانه ، فقال : يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر دينك ويعلو أمرك فعاهدني إذا أتيتك في ملكك أن تكرمني واكتب لي بذلك...فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبى بكر : أكتب له فكتب له على لوح من عظمٍ وأعطاه إياه...ولماهمَّ بالإنصراف... قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كيف بك يا سراقة لو لبستَ سواري كسرى؟) فقال سراقة في دهشة : كسرى بن هرمز ؟ لماذا تعجب سراقة ؟ لأن دولة الفُرس كان لها من من المكانة والعظمة ما لا يُتصوَّر أما العرب فكانوا قبائل متناحرة متباغضة جياع عراة...بماذا صاروا سادة ؟ صاروا سادة بالإسلام...نعم لعد أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله...قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نعم كسرى بن هرمز) يحكى سراقة قصة إسلامه فيقول :

• لما فتح اللهُ على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة...وفرغ من حنين خرجت ومعي الكتاب لألقاه...فلقيته بالجِعِرَّانة فدخلت فكان أصحابه يحاولون منعى ويقولون : إليك إليك ماذا تريد ؟ حتى دَنَوتُ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على ناقته فرفعت

يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله! أنا سراقة بن مالك وهذا كتابك لي...فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (هَذَا يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ...أدْنِه) فأقبلت عليه وأعلنتُ إسلامي بين يديه ونلتُ من خيره وبره ، ولم يمض على لقاء سراقة بن مالك برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير زمن يسير حتى اختار الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جواره فحزن سراقة أشد الحزن وجعل يتراءى له ذلك اليوم الذي همَّ بقتله من أجل مئة ناقة ، وكيف أن نوق الدنيا كلها لاتساوي عنده قلامة من ظفرالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ثم دارت الأيام دورتها وآل أمرالمسلمين إلى الفاروق عمر رضي الله عنه...وهبت جيوش المسلمين على مملكة فارس فدكت الحصون والجيوش ثم قدمت على المدينة رسل سعد بن أبي وقاص يبشرون أمير المؤمنين عمر بفتح بلاد الفرس ويحملون إلى بيت مال المسلمين خمس الفيء الذي غنمه الفاتحون فلما وضعت الغنائم بين يدي عمر نظر إليها في دهشة ، فقد كان فيها تاج كسرى المرصع بالدر ، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب ، وسواراه اللذان لم تر العين مثلهما قط فجعل عمر يقلب هذا الكنز الثمين بقضيبٍ كان بيده ثم قال لمن كان حوله وقد اغرورقت عيناه بالدموع : أين سراقة بن مالك فأتوا به فإذا به شيخ كبير قد كبرت سنه فألبسه قميص كسرى وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب ، وقلده سيفه ومنطقته ووضع على رأسه تاجه ، وألبسه سواريه عند ذلك هتف المسلمون الله أكبر الله أكبر لقد تحقق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كيف بك يا سراقة لو لبستَ سواري كسرى؟) نعم (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّوَحْيٌ يُوحَى)

• والسؤال : إذا كان الذهب حرام على الرجال فكيف لسراقة أن يرتدى سواري كسرى بأمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ؟ الجواب : هذا إخبار من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سقوط مملكة فارس وغنيمة المسلمين لحلي كسرى ، ولما وقع ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجيء بسواري كسرى ألبسهما سراقة بن مالك تحقيقا لوعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسراقة ثم ردهما أمير المؤمنين عمر إلى الغنيمة ، فهي إخبار عما سيقع وليس تشريعا...هؤلاء رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه...

• ومن الرجال الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه أيضا : المستثمر الأجنبي فى مكة الصحابي الجليل صهيب الرومي ، فهل كان روميا ؟ ليس روميا بل هو عربي ونعطيكم بعض أخباره للإ قتداء به : لقد كان أبوه من أثرياء العرب الذين نزحوا إلى العراق قبل الإسلام وفي قصره القائم على شاطئ الفرات عاش الطفل ناعماً سعيداً وفى يوم تعرضت البلاد لهجوم الروم وأسروا أعداداً كثيرة كان صهيب منهم فقضى طفولته في بلاد الروم حتى أخذ لسانهم ولهجتهم وينتهي بها الأمر إلى مكة حيث بيع لعبد لله بن جدعان فيعجب سيده بذكائه وإخلاصه فيعتقه ، وقد شاء الله له أن يكون ممن اعتنق الإسلام منذ أن قدم إلى مكة فأخذ "صهيب" مكانه في قافلة المؤمنين وكان من بين المضطهدين والمعذبين ، فلما أراد الهجرة تبعته قريش وقالوا : والله لا نتركك تلحق بصاحبك...لقد أتيتنا صعلوكًا لامال لديك والآن تريد أن تهاجر بمالك...لا والله ، فقال : يا معشر قريش أرأيتم إن أخبرتكم أين مالي أتخلون سبيلي ؟! قالوا : نعم فدلهم على ماله وهاجر بدينه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما رآه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلم مقبلا عليه تبسم له وقال : (ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع أبا يحيى) وفيه نزل قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)

• عباد الله : الذى يقرأ التاريخ يرى بأن أمة الإسلام أمة متجددة فهي كالغيث لا يدرى الخير في أولّه أو في آخره ، فالأمة الإسلامية مستمرة إلى يوم القيامة إن شاء الله..ولولا حفظ الله لها لانهارت كما انهارت الأمم قبلها ، فمنذ أن قامت من خمسة عشر قرنا وهي تؤدى دورها وإلا فكيف اعتنق الإسلام هذا العدد الكبير وهو مليار ونصف المليار وفى كل يوم أشرقت عليه الشمس يدخل الناس فى الإسلام ؟ فقد مر عليها عصر الخلفاء الراشدين ، ثم عصر الدولة الأموية ، ثم عصر الدولة العباسية ، وعندما استعصت القسطنطينية على الأمويين فتحت للعثمانيين بعد سبعة قرون تقريبا فتحققت بشارة نبينا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحينما خرج المسلمون من الأندلس كان الإسلام قد انتشر في أقطار أفريقيا وشرق أوروبا وفي جنوب شرق آسيا بسبب هجرة الأولين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ، وهذه بشرى فلن تضيع بإذن الله قدسنا ، ولن يهدم أقصانا ، ولن تضيع حقوقنا إن شاء الله ، فكيف تنهار أمة ووراءها هذه الطائفة المؤمنة التى أخبر عنها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَيَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُاللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) قالُوا : وَأَيْنَ هُمْ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قالَ : (بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) .

• عباد الله : إنَّ الغاية الكبرى من وجودك أخى المسلم على هذه الأرض هي عمارتها بالتوحيدِ قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون) فإذا تعذَّرَ تحقيقُ هذه الغايةِ فوقَ أرضٍ ما...فلا بُدَّ من البحثِ عن غيرها مهما كانتِ التضحيات وإلا كان استسلاما للواقع وهذا لايرضاه الله لعباده فيقول : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً...) وقد حث الله عباده على الهجرة لنشر عقيدة التوحيد فوعد من هاجر فى سبيله بسعة الرزق فى الدنيا...فإذا مات كان أجره على الله فقال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) .

فاللهم اجعل وجودنا فى هذه البلاد هجرة في سبيلك...ولاتحرمنا أجر الشهادة يارب العالمين

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)